يقال للكفرة من بني آدم يوم القيامة وقد برزت الجحيم لهم تقريعا وتوبيخا { هذه جهنم التي كنتم توعدون } أي هذه التي حذرتكم الرسل فكذبتموهم { اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون } كما قال تعالى : { يوم يدعون إلى نار جهنم دعا * هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون } وقوله تعالى : { اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون } هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيامة حين ينكرون ما اجترحوه في الدنيا ويحلفون ما فعلوه فيختم ا على أفواههم ويستنطق جوارحهم بما عملت .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو شيبة إبراهيم بن عبد ا بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث التميمي حدثنا أبو عامر الأزدي حدثنا سفيان عن عبيد المكتب عن الفضيل بن عمرو عن الشعبي عن أنس بن مالك Bه قال : كنا عند النبي صلى ا عليه وسلّم فضحك حتى بدت نواجذه [ثم قال صلى ا عليه وسلّم : أتدرون مم أضحك ؟ قلنا : ا ورسوله أعلم قال صلى ا عليه وسلّم : من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول رب ألم تجرني من الظلم ؟ فيقول : بلى فيقول : لا أجيز علي إلا شاهدا من نفسي فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا والكرام الكاتبين شهودا فيختم على فيه ويقال لأركانه : انطقي فتنطق بعمله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول : بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل] وقد رواه مسلم والنسائي كلاهما عن أبي بكر بن أبي النضر عن أبي النضر عن عبيد ا بن عبد الرحمن الأشجعي عن سفيان هو الثوري به ثم قال النسائي : لا أعلم أحدا روى هذا الحديث عن سفيان غير الأشجعي وهو حديث غريب وا تعالى أعلم كذا قال وقد تقدم من رواية أبي عامر عبد الملك بن عمرو الأسدي وهو العقدي عن سفيان .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده [عن النبي صلى ا عليه وسلّم قال : إنكم تدعون مفدما على أفواهكم بالفدام فأول ما يسأل عن أحدكم فخذه وكتفه] رواه النسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به وقال سفيان بن عيينة عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة Bه [عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم في حديث القيامة الطويل قال فيه : ثم يلقى الثالث فيقول : ما أنت ؟ فيقول : أنا عبدك آمنت بك وبنبيك وبكتابك وصمت وصليت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع ـ قال ـ فيقال له : ألا نبعث عليك شاهدنا ؟ ـ قال ـ فيفكر في نفسه من الذي يشهد عليه فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي ـ قال ـ فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل وذلك المنافق وذلك ليعذر من نفسه وذلك الذي سخط ا تعالى عليه]

ورواه مسلم وأبو داود من حديث سفيان بن عيينة به بطوله .

ثم قال ابن أبي حاتم C : حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن عقبة بن عامر Bه [أنه سمع رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل اليسرى] وروى ابن جرير عن محمد بن عوف عن عبد ا بن المبارك عن إسماعيل بن عياش به مثله وقد جود إسناده الإمام أحمد C فقال : حدثنا الحكم بن نافع حدثنا إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد الحضرمي عمن حدثه عن عقبة بن عامر Bه [أنه سمع رسول ا يقول : إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل الشمال] .

وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية حدثنا يونس بن عبيد عن حميد بن هلال قال : قال أبو بردة : قال أبو موسى هو الأشعري Bه : يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه فيعترف فيقول : نعم أي رب عملت عملت قال : فيغفر ا تعالى له ذنوبه ويستره منها قال : فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئا وتبدو حسناته فود أن الناس كلهم يرونها ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عمله فيجحد ويقول : أي رب وعزتك لقد كتب علي هذا الملك ما لم أعمل فيقول له الملك : أما علمت كذا يوم كذا في مكان كذا ؟ فيقول : لا وعزتك أي رب ما عملته فإذا فعل ذلك ختم ا على فيه قال أبو موسى الأشعري Bه : فإني أحسب أول ما ينطق منه الفخذ اليمنى ثم تلا { اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون } .

وقوله تبارك وتعالى : { ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون } قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس Bهما في تفسيرها : يقول ولو نشاء لأضللناهم عن الهدى فكيف يهتدون ؟ وقال مرة : أعميناهم : وقال الحسن البصري : لو شاء ا لطمس على أعينهم فجعلهم عميا يترددون وقال السدي : يقول ولو نشاء أعمينا أبصارهم وقال مجاهد وأبو صالح وقتادة والسدي : فاستبقوا الصراط يعني الطريق وقال ابن زيد : يعني بالصراط ههنا الحق فأنى يبصرون وقد طمسنا على أعينهم وقال العوفي عن ابن عباس Bهما : { فأنى يبصرون } لا يبصرون الحق .

وقوله D : { ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم } قال العوفي عن ابن عباس Bهما : أهلكناهم وقال السدي : يعني لغيرنا خلقهم وقال أبو صالح : لجعلناهم حجارة وقال الحسن البصري وقتادة : لأقعدهم على أرجلهم ولهذا قال تبارك وتعالى : { فما استطاعوا مضيا } أي إلى أمام { ولا يرجعون } إلى وراء بل يلزمون حالا واحدا لا يتقدمون و لا يتأخرون